

الإسلام في ألمانيا... جدل وقلق

الفاثيكان متخوف من تزايد أعداد المسلمين في ألمانيا وانحسار الهوية المسيحية بأوروبا

بدا جليا أن التغير بمبادئ التسامح والتعايش والحوار بين الثقافات والأديان من قبل الغربيين، ما هي إلا شعارات براقية تخفي في طياتها العديد من الدلالات، يكاد يكون الغرض منها إظهار جوانب حضارية، وإخفاء عوامل مستورة تتمثل في الشك والريبة والخوف والنظر بأعين غير راضية عن ثقافة إسلامية يشتت مظاهرها النابعة من دين وعقيدة سمحاء. ووسط الخوف من «أسلمة القارة العجوز»، والرهبة من أن تتقوى شوكة المسلمين داخل ألمانيا، ما قد يؤدي إلى أسلمة المجتمع، يرى بعض المراقبين أن الحديث عن الحجاب والمساجد أصبح موضة العصر، وأن المس بال مقدسات والمظاهر الإسلامية عادت مواضيع خصبة تستهوي الإعلاميين والسياسيين على السواء، فلتحريك مشاعر المواطن الألماني لأغراض تستغل غالبا لفضاء مأرب رخيصة، ينتهزها البعض فرصة لخدش المعتقدات الإسلامية، تبدأ بحملات دعائية تعمق الهوة الفاصلة بين الطرفين، لتتوج بقرارات غالبا ما تتسم بنوع من الارتجالية والضغط الذي يصطدم في أحيان كثيرة مع القوانين والدستور، ليظل هذا الإجحاف في حق هذه الأقلية سمة بارزة داخل مجتمع لا يكف عن المناداة بالتعدد والاختلاف.



جدالات مسطحة، ككلو صومعة المسجد الذي لايجب أن يفوق الكنيسة، والخوف من تشويه المعالم الحضارية الغربية، تتعالى أصوات مسلمي ألمانيا لبناء بيوت الله التي يضمنها الدستور الألماني، تحت بند حرية الأديان، لما تلعبه المساجد في ألمانيا من دور اجتماعي في حياة معظم المهاجرين المسلمين، إذ يعد مركزا لتلقيهم وتجمعهم، بل وكما يرى الكثيرون أن المساجد في ألمانيا ليست مكانا للتعبد بحسب، وإنما أيضا مكانا اجتماعيا تقدم فيه يد العون للمعوزين وبعض المساعدات الأولية.

وحول تهم عدم احترام التظيمات الإسلامية للقوانين والتشريعات داخل ألمانيا، وما إذا كانت المساجد الألمانية، تؤوي المتطرفين، كما تدعي عدة جهات ألمانية، اختارت الصحاح "أن تأخذ مسجد القدس بمدينة هامبورغ، الذي أثير حوله الكثير من اللغط بعدما اكتشف أن مفذي عمليات حادي عشر سبتمبر 2001 الدامي، كانوا من بين المترددين على المسجد، نمونجا على هذه المخاوف الإيمنة. وبهذا الصدد، يقول أنوار صالح، بصفته مسؤولا عن مدينة المسجد، إن هذه الإدعاءات حجت وفخت فيها المنابر الإعلامية الألمانية قصد تسويق بضاعتها، مضيفا أن المساجد في ألمانيا كلها مراقبة، وإذا ما كانت هذه الأقاويل والإدعاءات صحيحة، لعلمت الأجهزة الرسمية في البلاد على إقفال المسجد. ويحت صالح (60 سنة) القادم من مدينة سطات في بداية سبعينات القرن الماضي، مسلمي ألمانيا بمختلف جنسياتهم على احترام قوانين هذا البلد، والعمل في إطار الدستور.

ويوجد هذا المسجد المعروف أيضا بمسجد المغاربة " شرق المحطة المركزية لمدينة هامبورغ، ويجاور مساجد أخرى صغيرة، وأخرى شبيهة بمراق المساجد وتشتهر التقديرات الجارية بوجود 2500 مصل في ألمانيا الكثير منها هي عبارة عن مجرد غرفة لآداء الصلاة، ويوجد في ألمانيا حاليا 77 مسجد.

الحجاب... رغبة يصدها القانون من دون ستره الرأس اشعر، وكان عارية بهذه الجملة تعبر الكثير من الفتيات داخل ألمانيا، عن موقفهن من قضية الحجاب، إلا أن العديد من المؤسسات الألمانية تبذل قصارى جهدها لعدم تحقيق هذه الرغبة. من دون أن تعبر أي اهتمام للاختيارات والقناعات الشخصية لفتيات مسلمات، يمثلن شريحة عريضة من المجتمع الألماني.

ويعد جدالات عمت جميع المجالات لتدخل ربهات المحاكم الألمانية بشئى مستوياتها، قررت المحكمة العليا في ولاية هيسن الألمانية بعدم معارضة القانون، الذي أصدره أخيرا برلمان الولاية، بشأن منع ارتداء الحجاب داخل الإدارات العامة للدولة، ويرى الكثيرون، أن هذا الحق لا يتوافق والدستور الألماني لتناقضه مع حقوق المساواة بين الرجل والمرأة، كما أنه يقلص في الآن ذاته من حق المرأة المسلمة داخل ألمانيا، فبعد منع ارتداء الحجاب في بعض الولايات الألمانية فقط داخل المدارس، جاء قرار محكمة هيسن الأخير، أكثر تشددا ليتجاوز المدرسة إلى الإدارات العامة.

ويبحث المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا في هذا السياق، تقديم شكوى ضد هذه القوانين إلى المحاكم المختصة، وصولا إلى المحكمة الدستورية بكارلسروه، موضحا أن المجلس ضد إكراه المرأة على ارتداء الحجاب كما أنه ضد إجبارها على ارتدائه.

ويستغرب بعض المتابعين كيف يسمح لتلميذة بارتداء الحجاب ويمنع عنها مستقبلا ولوج وظائف عمومية، إذا ما اختارت ارتداء ستره الرأس، وهي التي نشأت ونهلت من منافع التعليم الألماني.

وتستند تعليقات المنع، إلى أن الحجاب يمثل خرقا للحد الذي تلزمه به الدولة في مسألة الدين، وأنه ليس قطارمزا دينيا بل سياسيا أيضا، كما

تبرهها إيديولوجيات سياسية دينية. كما أجاب نحو نصف من شملهم الاستطلاع بـ "نعم على السؤال حول ما إذا كان من حق المسلمين اللجوء إلى القوة بهدف الدفاع عن أنفسهم، إذا تعرض الإسلام إلى تهديد من الغرب، وأن 5.5 بالمائة يؤمنون باستخدام العنف لنشر الإسلام.

ويعتقد نحو ثلث المشاركين في الاستطلاع أن المسلمين الذين يقتلون في حرب مسلحة من أجل العقيدة الإسلامية سيدخلون الجنة.

وأشارت هذه الدراسة زود أفعال متباينة، كما وضعت مساعي إدماج المسلمين في المجتمع قأب فوسين. ومن بين الانتقادات التي وجهت لهذه الدراسة، أنها كانت انتقائية، إذ وجه هذا الاستطلاع فقط إلى 970 شخص عبر الهاتف، ويقول المنقرون، إن عدد المستجوبين لا يكفي لمثل هذه الأحكام ولا الطريقة غير المباشرة، أي الهاتفية، تقدر أن تعطي نتائج موثوقة عن موضوع بالغ الحساسية كهذا.

ويلاحظ بعض المتابعين، من خلال الأسئلة الموجهة، التي كانت تبغي معرفة موقف المسلمين من الديمقراطية ودولة القانون ومدى استعدادهم للقيام بأعمال عنف بوازع ديني، أن القانونين على هذه الدراسة، انطلقوا من فرضيات أريد لها أن تثبت بطريقة، يقال إنها علمية، أحكاما مسبقة، وكليتيهات تقليدية تفسر العدا الدائم بين الإسلام والغرب و أخطار الإرهاب الإسلامي على ألمانيا، لوضع هذه الآلية من المجتمع في قفص الاتهام والرجح بها في سلة واحدة عنوانها العنف والإرهاب والحياة القاتمة.

ويرى آخرون في إعلان وزير الداخلية الألماني عن هذه الدراسة وإظهارها أمام وسائل الإعلام بتلك الطريقة المزهو، و كأنه عثر على كنز بيرز به موافقة، أن هذه المبادرات تعمق فقط الهوة بين الثقافات والأيمان وتكسر جسورا كانت بنيت في الماضي، رغم هشاشتها، لتكتشف في مدى القصور الذي يعترض الجهود الرامية إلى إدماج المسلمين في المجتمع الألماني.

ويرجع سر هذا الإهتمام خاصة من قبل الأمريكيين، إلى أن الولايات المتحدة تربطها بأوروبا روابط اقتصادية حساسة، سنتاقف لا محالة بـ "أسلمة القارة العجوز"، وذلك في ظل انخفاض معدل الولادات، وزيادة أعداد المهاجرين المسلمين. وللإشارة، فقد استقر المسلمون في ألمانيا بأعداد كبيرة على وجه الخصوص في سنتينات القرن الماضي، عندما استعانت ألمانيا بالعمالة الأجنبية للمساهمة في إعادة بناء ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية. كما قدم الكثير من المسلمين إلى ألمانيا في السبعينات على شكل موجات من اللاجئين السياسيين، ومع ذلك، فإن بداية احتكاك ألمانيا بالإسلام والمسلمين يعود إلى قرون سابقة.

دراسة مثيرة للجدل

أمام معودة قبيل انتهاء السنة الماضية، تلقت الجالية المسلمة في ألمانيا، صغعة أخرى عنيفة من الجهات الرسمية، تضع هذه الأقلية من المجتمع الألماني في سلة واحدة، وتتهمة عبر دراسة مموله من قبل وزارة الداخلية الألمانية، أنجزها معهد يبحث في الإجراء، بالمثل إلى الأصولية وتأييد العنف.

وأظهرت هذه الدراسة التي أجريت أخيرا بتكليف من وزارة الداخلية الألمانية، أن توجهات 40 في المائة من المسلمين في ألمانيا تميل إلى الأصولية، و6 في المائة لديهم استعداد لاستخدام العنف في سبيل معتقداتهم، كما لديهم الاستعداد للانتقال إلى أشكال عنف جماعية مدفوعة بأسباب دينية.

واستندت هذه الدراسة على استطلاع شمل نحو ألف شخص أبان أن واحدا من أصل سبعة مسلمين في ألمانيا ينجني رأيا سياسيا متشددا، كما أوضحت الدراسة أن 4 بالمائة من المسلمين الذين شملتهم عينة الدراسة يرفض الديمقراطية ودولة القانون، ويتقبلون بشكل ملحوظ أعمال عنف

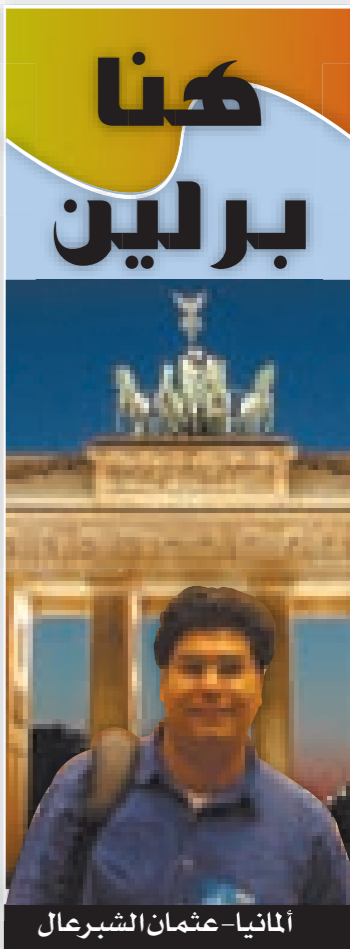
ويشعر بعض التقديرات إلى أن عدد المسلمين الجدد في ألمانيا يتضاعف سنويا بنسبة 4000 ألف مسلم سنويا. فخلال الفترة المفتدة بين 2001 و2006، اعتنق ما يناهز 20 ألف شخص الإسلام.

ووفق الإرقام الحكومية الصادرة عام 2007، يبلغ عدد المسلمين في ألمانيا نحو 3.4 ملايين مسلم من أصل 82.5 مليون نسمة، وزيادة أعداد المهاجرين لسكان ألمانيا، أي بنسبة 4 بالمائة من الشعب الألماني، وبذلك يعتبر المسلمون في ألمانيا أكبر الأقليات الدينية بعد المسيحية.

وإبان دراسة نشرتها أخيرا صحيفة "فيلت أم زونتاخ"، الموالية للاتحاد المحافظ في ألمانيا، إلى أن نسبة المحدثين في ألمانيا كبيرة جدا مقارنة مع شعوب الدول الأخرى، إذ لا ينتهي نحو 29 بالمائة من الألمان إلى أي عقيدة دينية، ما يترتب عن ذلك، إفلاس وإفقال عدد كبير من الكنائس داخل ألمانيا، بسبب تراجع المداخل المحصلة من إقطاعات الضرائب الكنسية التي تجمعها الدولة كل شهر.

ومن جانب آخر، تشهد مراكز الدراسات الدينية بالجامعات الألمانية، إقبالا متزايدا من قبل الطلبة على الالتحاق بخصصات تتناول صميم الدين الإسلامي كمنهج تفسير القرآن وأصول الفقه وعلوم الحديث، قصد دراسة وتعلم المزيد عن الإسلام من جهة، وكذا سد العجز الكبير في الكفاءات المؤهلة لتدريس الدين الإسلامي في المدارس الحكومية، خاصة أن عدد التلاميذ المسلمين في المدارس الألمانية، يتجاوز 800 ألف تلميذ وتلميذة، وذلك كما تبين في Bildunterschrift: تشير بعض الإحصائيات.

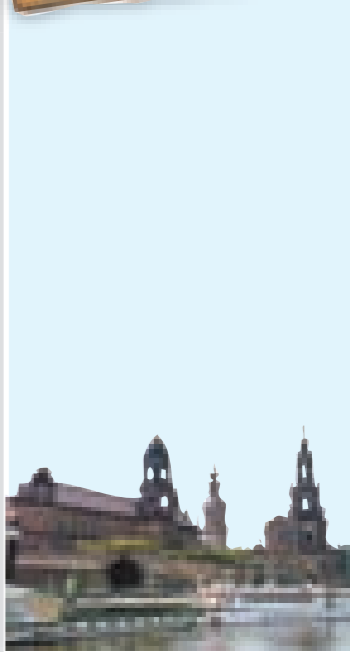
ويبدو أن تزايد أعداد المسلمين في أوروبا وفي ألمانيا بشكل خاص، يسبب قلقا شديدا ليس للفاثيكان فحسب، بعد تحذير البابا بنديكت السادس عشر في خطاب له، للأوروبيين من انحسار الهوية المسيحية لأوروبا في ظل انخفاض معدل المواليد، وزيادة عدد المهاجرين المسلمين، بل للأوروبيين أيضا، خصوصا بعدما لقت دراسة أمريكية أخيرة نافوس الخطر محذرة من تزايد عدد المسلمين في أوروبا وألمانيا بشكل خاص.



ألمانيا- Cemal Schirak



Unbekannte Nachbarn



منير عزراوي: ضعف تأثير مسلمي ألمانيا على القرار السياسي

رئيس دائرة "المسلمون الخضر" الألمانية قال في حوار مع "الصباح" إن هدفهم وضع برامج معتدلة تهتم بإدماج المسلمين

ففيه لولا أن تميز لها في غالب الأحيان تغليب فكرة المشاركة والحوار بغية ترجيح كفة إيجابيات المؤتمر.

● تعاتب الدولة على مسلمي ألمانيا أنهم يفتقدون سقفا موحدا ينظمهم، في نظر ما هي الأسباب ؟
● لا يرتكز هذا المطلب أساسا على قاعدة قانونية، لأن حتى الكنائس والمؤسسات المسيحية تتفقد دورها إلى سقف واحد، فالمسألة هي بالأساس قضية سياسية، حدث بوجود في ألمانيا العديد من المنظمات التركية التي تنتمي إلى مجموعات سياسية في تركيا، والوالة الألمانية ترغب في أن تتطور هذه المجموعات داخل المجتمع الألماني وتقطع تواصلها مع الدولة التركية، وقد عملت المنظمات الإسلامية على هذا الأساس في بداية سنة 2007 بالانضمام تحت سقف واحد، وهو ما يعرف الآن بالمجلس التسقيفي للمسلمين. وأمل أن تعطي هذه الخطوة دفعة للتعاون المشترك نحو الأمام.

● بنادي الكثير من الساسة الألمان وعلى رأسهم وزير الداخلية الألماني فولفغانغ شويبله بـ "إسلام المنى"، ما تعليقك على هذا المطلب؟
● لكل واحد تصوراتاه الخاصة حول ماذا يمكن فهم من هذا المطلب، ولكن غالبا ما يتوخى منه نوبان وانحصار المسلمين داخل المجتمع الألماني، على سبيل المثال، اعتبار النيجية الإسلامية أو ارتداء الحجاب لم يعد له مكان في المجتمع المدني الحديث. كما أن هناك من يفهم من هذا المطلب الممارسة الحرة والكاملة للمعتقدات الدينية في إطار الدستور، مع رفض بعض الرواسخ التي لا تتناسب والمجتمع الألماني. وفي الوقت الذي أرفض فيه المفهوم الأول من هذا المطلب أجدني أوافق وأستطيع تأييد الموقف الثاني.

● ما هو موقفك من الدراسة الأخيرة حول المسلمين التي تظهر ميل مسلمي ألمانيا إلى الأصولية ؟
● يفهم من الأصولية في هذه الدراسة، أن لدى المسلمين ارتباطا قويا بديانتههم، وهذا في ذاته لا يحمل معنى من معاني التطرف. المشكلة تكمن في إيداء طائفة صغيرة من المسلمين رفضها الديمقراطية، وتأييدها للتعف باسم الإسلام. من ناحية أخرى، يذكر أنه حتى هنا في المجتمع الألماني من يرفض الديمقراطية، خصوصا في شرق البلاد. وقد أظهرت نتائج هذه الدراسة أن هذه المواقف السلبية غالبا لا تدخل للإسلام فيها، بل هي نتاج لعدم شعور أبناء المجتمع بالرضى الكافي عن الدولة، وسببه أيضا الصراعات الاجتماعية المتواليه. وعموما أرى أن هذه الدراسة تنقذ إلى تحليل عميق ومتباين، كما يجب أن لا يسمح بالاستغلال السياسي لها في الحملات الانتخابية كما هو الحال الآن.



منير عزراوي في سطور

من الوجوه الغربية الشابة الفاعلة في المجتمع الألماني، ولد في مدينة أخن الألمانية عام 1977، يتحدر أبواه من مدينة وجدة، خريج جامعة أخن شعبة العلوم السياسية.
شغل حتى نهاية سنة 2006 مهمة المتحدث باسم المجلس الأعلى للمسلمين بألمانيا الذي يضم تزيد من 500 مسجد.
عضو في المؤتمر الإسلامي بألمانيا ورئيس مؤسس لدائرة "المسلمون الخضر" التابعة لحزب الخضر الألماني، ويشغل حاليا منصب مستشار سياسي.

ومن المواضيع التي يناقشها المؤتمر بناء المساجد، والذبيحة الإسلامية وصورة الإسلام في الإعلام. من جهة أخرى، يحاول المؤتمر إيجاد حلول لقضايا شائكة مثل القضاء على تطرف الشباب المسلم، وإيضاح الخطوات التي يجب على المؤسسات الإسلامية اتباعها، في تحضي بالاعتراف الرسمي من جانب الدولة.
ومن المقرر القيام الآن بتقييم ختامي للأهداف المرجوة من المؤتمر، لكن حقيقة أن هذا المؤتمر أخرج إلى قيد الحياة بمبادرة من وزير الداخلية الذي ينتمي إلى الحزب المسيحي المحافظ، والذي أعرب بدوره عن أن الإسلام جزء لا يتجزأ من المجتمع الألماني، فهذا في حد ذاته نجاح كبير.
● ما هي الصعوبات التي يواجهها ؟
● من المهم الإشارة، أن المؤتمر يتعقد على المستوى الاتحادي أي الوطني، ومن ثم، فإن الصعوبات التي تواجهه تنحصر في مساهمته المحدودة في تحقيق الأهداف، وذلك لأن القرارات

يتناول هذا الحوار القضايا الجوهرية التي تستقطب اهتمام المسلمين في ألمانيا الاتحادية وهي مقدمتها الحقوق الدينية والاندماج والارتباط بالمؤسسات الدستورية، والتعايش مع الآخر في إطار احترام الخصوصيات والتعددية السياسية والدينية. إلى جانب طرح المشاكل والصعوبات التي تواجهها الأقليات المسلمة، وتحديات الفرد والجماعة وتكوين وحدة رأي قوية قادرة على الدفاع عن مصالح المسلمين أمام أصحاب القرار.

● كيف جاءت فكرة تأسيس دائرة السلمون الخضر التابعة لحزب الخضر الألماني ؟
● يوجد العديد من المسلمين الناشطين داخل حزب الخضر، وذلك لأننا نحن المسلمين المحذرين من دول عربية وإسلامية مختلفة، نعترض الإسلام جزءا لا يتجزأ من المجتمع الألماني. ومع كثرة الجدل حول الإسلام في الآونة الأخيرة، تميز لنا أن النقاش حول هذا الموضوع يجب أن يطرح بموضوعية واحترافية أكثر، ما جعلنا نغكر في تأسيس دائرة "المسلمون الخضر" في بداية سنة 2007. وقد كانت ردود فعل المجتمع والسياسيين إيجابية.
● ما هي أهدافكم من وراء تأسيس الدائرة ؟
● تلعب مجموعات العمل والدوائر السياسية دورا هاما داخل الخريطة السياسية الحزبية للمجتمع الألماني، وفي تشكيل مواقف هذه الأحزاب. ومن هنا، ينطلق دورنا ومرسالنا التي تتجلى في تقديم الاستشارات لنواب حزب الخضر داخل مجلس النواب، وفي البرلمانات الإقليمية، وكذا الهبات الحزبية. والهدف من ذلك، مثلا وضع برامج معتدلة تهتم بإدماج المسلمين داخل المجتمع الألماني، ومساعدة الحزب أيضا على إخراجها للوجوب، بالإضافة إلى مشاركتنا الفعالة والمباشرة في النقاشات السياسية حول الإسلام ومحاولة تشجيع المسلمين على مشاركة أقوى في الحياة السياسية.
● لماذا حزب الخضر وليس حزبا آخر ؟
● خصوصا بعد أحداث حادي عشر سبتمبر، توالت حملات العنصرية والتمييز وإصدار القوانين الامية ضد المسلمين. فمذ ذلك الوقت، كان حزب الخضر، الحزب الوحيد الذي دافع بشكل فعال عن حقوق الجالية المسلمة فيما لم تنص اهتمامات الأحزاب الأخرى على ضمان حقوق المسلمين بل طالب على العكس من ذلك، بنزويان وانحصار الجالية المسلمة داخل المجتمع الألماني، معللة ذلك بأن هذا المجتمع تحكمه ضوابط وتقاليد الديانة المسيحية واليهودية.
● لم العمل داخل حزب سياسي، وليس في إطار مؤسسة أو منظمة أخرى ؟
● لأن الأحزاب لها تأثير كبير في الحياة السياسية هنا في ألمانيا، وخصوصا الأحزاب